

خطبة الجمعة

التي القاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيداه الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠٠٩/٦/١٩

في مسجد بيت الفتوح بلندن



أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. (أمين)

من صفات الله تعالى الرافع، أي من يبوئ المؤمنين مكانة رفيعة.
وهنا ينشأ تساؤل: كيف يُنال هذا المقام الرفيع؟ فاعلم أن المؤمن يناله بفضل
الله تعالى بعد قيامه بالأعمال الصالحة وسعيه الدؤوب في هذا السبيل. وفي
بعض الأحيان يهب ﷺ للإنسان بفضلَه المحض مقاما رفيعا، ويكرمه من حيث
لا يحتسب. وأما عباده الخواص والأولياء فيكرمهم بمقامات رفيعة أكثر من
قربه، حتى يرفع بعضهم إلى درجة النبوة ويعلمهم تعليمه الخاص.

يقول الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١١).

وقد ورد في قاموس "لين" - الذي جمع كثيرا من المعاني التي وردت في قواميس أخرى عديدة - في تفسير قوله تعالى ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾: أي أنه تعالى سيتقبل الأعمال الصالحة، أو: إن الأعمال الصالحة تُكسب صاحبها الثناء والرفعة، أو: إن العمل الصالح هو وحده يمثل وسيلة للفوز بمقام رفيع، وأنه لن يُقبل من الإنسان قول بدون عمل صالح.

فالله تعالى رافعٌ، لكنه في الوقت نفسه قادر أيضا، فهو القادر على أن يهب لمن يشاء مكانة سامية أو يُكرمه بإنعامه كيفما يشاء، لكنه بين مبدأ عامًا فقال: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.. أي أن العمل الصالح هو ما يؤدي بصاحبه إلى الرفعة والعلو.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بهذا الخصوص: "يرفعون إلى الله تعالى بقوة أعمالهم الصالحة."

(أي أن الأبرار والمؤمنين يعملون الصالحات فيرفعون إلى الله بسببها، والأنبياء من بينهم يجوزون أسمى مكانة)

ثم قال حضرته عليه السلام: "إنني أنصح جماعتي فأقول: هناك حاجة ماسة للأعمال الصالحة. إذا كان ثمة شيء يمكن أن يصعد إلى الله تعالى فإنما هي الأعمال الصالحة فقط."

فهناك حاجة للأعمال الصالحة للفوز بقرب الله تعالى في هذا العالم وفي الآخرة أيضا. إن الإنسان قوي الإيمان يتمنى دائما أن يصل إلى أعلى مستويات رضوان الله تعالى، وقد حدد الله لتحقيق هذه الأمنية قاعدة وهي أن يقوم

الإنسان بأعمال صالحة. لقد قيل للعرب المنغمسين في السيئات والجهل إنهم لو اتبعوا النبي ﷺ فلن يكفروا عن سيئاتهم فحسب، بل سيبلغون أسمى المستويات من البر والتقوى والعزة والوقار. لقد قال الله لهم إن الأقوام التي تنظر إليكم اليوم بازدراء وتعتبركم أعرابا جهّالاً، وسوف أهما ستخضع لكم في يوم من الأيام. لكن كل هذا الشرف والإكرام والعظمة إنما تناولها بسبب إيمانكم الخالص وتَحْلِيكم بالقيم الخلقية السامية وقيامكم بأعمال حسنة، فاسعوا للوصول إلى هذه الدرجة. ثم شاهدت الدنيا كيف أن الله تعالى قد جعل العالم يخضع لأولئك الذين كانوا يُعتبرون جهّلةً. لقد حفظ الله تعالى هذا الأمر في القرآن الكريم وبذلك قد رسم الخطوات المستقبلية للمسلمين. ووضّح لهم أنكُم إذا اتخذتم هذا المبدأ منهجاً لكم فسوف تتبأون مكاتكم السامية. لكن المسلمين - لسوء حظهم - بدأوا يلهثون وراء المكاسب والأطماع الدنيوية بدلا من كسب الحسنات التي أمرهم الله تعالى بها في كلامه الطاهر، ففقدوا مجدا كسبه أسلافهم. فنرى اليوم المسلم يتعطش لسفك دم أخيه المسلم باسم الله. ولهذا السبب يحكم المسلمين الأغيار. وترى الحكومات الإسلامية تتطلع إلى الغرب والأغيار ليساعدوها لحل مشاكلها. وحين يعاني بلد إسلامي من مشاكل داخلية ويسوده الفوضى والاضطراب وسفك الدماء، فإن أمريكا وأوروبا تتدخل لحل مشاكله بدلا من أن تقوم بذلك الدول الإسلامية. والأدهى والأمر من ذلك أن هؤلاء لا يقومون بحل المشاكل، بل يفرضون سيطرتهم على المسلمين عنوة. ولما كانت هذه الحكومات غير إسلامية فتعامل المسلمين بمنتهى الإهانة والذلة، ونتيجة لذلك ترتفع ضجة من قبل المسلمين.

باختصار، إن المسلمين بسبب عدم عملهم بالتعليم الإسلامي الحقيقي في هذه الأيام لا يزالون يسقطون في الحضيض بدلا من ارتفاعهم إلى المعالي. لقد بين الله تعالى مبدأ بأن الأعمال السامية في اتباع النبي ﷺ هي التي يمكن أن تُكسبكم أسمى الدرجات. فتدبروا وتفكروا في ذلك واسعوا للعمل به. وعلماء المسلمين وقادتهم يعترفون بعد التدبر وإمعان النظر أنهم يواجهون الذل والهوان بدلا من العزة والرفعة بسبب أعمالهم غير الصالحة وتصرفاتهم الخاطئة، لكنهم غير مستعدين - في هذا الزمن خاصة - للعمل بالوسائل التي علمنا الله تعالى إياها من أجل القيام بالأعمال الصالحة. لقد أرسل الله تعالى في هذا العصر المحبَّ الصادق للنبي ﷺ - الذي كان دائما نشواناً بحبه ﷺ بعد حب الله ﷻ - إماما لهذا الزمان ومسيحا موعودا وإماما مهديا ونوره بنوره نتيجة حبه الكامل للنبي ﷺ. أما أنتم (أيها المعارضون) فترفضون ذلك المحب الصادق للنبي ﷺ، وليس ذلك فحسب بل إن تعريف المسلم في قاموسكم اليوم هو من يسبُّ هذا المحبَّ الصادق للنبي ﷺ، ويذكره.. في كل ما يكتب.. بكلمات بذيئة وشنيعة. أما هذا العاشق الوهّان للرسول ﷺ فكان قد أعلن ولا يزال يعلن (كما ورد في بيت شعره ما تعريبه): لقد حظينا بوصول الله ﷻ منذ أن اقتبسنا هذا النور من نور الرسول ﷺ. ثم قال: اللهم صلِّ على (محمد) المصطفى صلوات لا تعدُّ ولا تحصى وأنزل عليه رحمتك الواسعة، فإننا قد اقتبسنا منه هذا النور. أما هؤلاء الظالمون فيكفرون سيدنا ميرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام زاعمين أنه يحطُّ من شأن النبي ﷺ ويسيء إلى مقامه الكريم، والعياذ بالله.

لا يسع أحدا في هذا العصر أن يدرك إدراكا صحيحا حقيقةَ النور المحمدي ﷺ كما أدركه وبيّنه المسيح الموعود العليّ، ولقد قرر قدرُ الله تعالى أن يكون حضرته ﷺ هو ذلك المحب الصادق للنبي ﷺ، ويكون هو مَنْ يدرك مقامه السامي وحقيقة نوره ﷺ. وإن الأسلوب الذي بيّن به جمالَ هذا النور كان من نصيبه هو وحده ﷺ. فالحائزون على المكانة السامية بفعل الصالحات اليوم هم أولئك الذين يتمسكون بهذا المحب الصادق بصورة حقيقية.

أقدم لكم الآن ما بيّنه المسيح الموعود العليّ عن مقام النبي ﷺ ونوره لدى تفسيره لإحدى آيات سورة النور. يقول العليّ:

"لقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٦)

فقال العليّ في تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نور السماوات والأرض﴾:

"الله نور السماوات والأرض، أي أن كل نور نراه في الأعالي أو في الأعماق، سواء كان متجليا في الأرواح أو في الأجسام، ذاتيا كان أو عرضيا (أي سواء أكان يتجلى ذلك النور في شخص أحدٍ لميزته الذاتية أو كان قد استعاره من غيره)، ظاهريا كان أو باطنيا، ذهنيا كان أو خارجيا، إنما هو عطاء من فيضه ﷺ. وهذه إشارة إلى أن الفيض العام لرب العالمين محيط بكل شيء، ولا يخلو أحد من فيضه ﷺ. إنه مبدأ جميع الفيوض ومنه تنبع الفيوض

كلها، وهو علة العلل لكل الأنوار (أي هو يتسبب في ظهور جميع الأنوار).
 وإنه ينبوع جميع أنواع الرحمة، وإن وجوده لقيومٌ حقيقي للعالم أجمع، وإنه
 ملجأ لكل ما هو في الأعلى والأسفل، وهو الذي أخرج كل شيء من
 ظلمات العدم وخلع عليه خلعة الوجود (أي خلق الله تعالى كل شيء من
 العدم، كما كان الكون أيضا مغلقا فخلق الله ووهب له الكيان) هذا هو
 الفيض الإلهي العام الذي تنتفع به الموجودات كلها، وقد بين الله تعالى هذا
 الأمر في قوله ﴿الله نور السماوات والأرض﴾، وهو الفيض الذي قد أحاط
 كل شيء بشكل دائري. (أي أن الله تعالى قد أحاط بفيضه العام كل شيء
 في الكون سواء كان إنسانا مؤمنا أو غير مؤمن أو حجرا أو جبلا أو ماء أو
 حيوانا) ولا يُشترط للانتفاع منه أية كفاءة معينة. ولكن هناك فيض رباني
 خاص مقابل ذلك، وهو مشروط بشروط، ولا ينتفع به إلا الخواص ذوو
 المواهب والكفاءات الخاصة لتلقيه (أي أن هذا الفيض مختص بمن يتمتعون
 بصلاحية تامة لتلقيه وقبوله) وهم النفوس الكاملة أي الأنبياء عليهم السلام،
 الذين أفضلهم وأعلاهم وأشملهم بركةً هو سيدنا محمد المصطفى ﷺ (أي أن
 أكثر من يتحلى بهذه الكفاءات هم الأنبياء الكرام عليهم السلام، وأن
 أكثر من يتحلى بهذه الكفاءات من زمرة الأنبياء هو سيدنا محمد ﷺ الذي هو
 جامع البركات). وبما أن هذا الفيض الرباني حقيقةً كونية عميقة ودقيقة من
 الدقائق الحكمية (أي أن هذا الفيض الرباني الخاص حقيقةً دقيقة الفهم لا
 يُدرك كنهها إلا بالتدبر العميق فيه وهو من أدق المسائل الحكمية التي لا
 يستطيع الجميع استيعابها) لذلك فقد ذكر الله تعالى أولاً فيضه العام الذي هو

بديهى الظهور فقال ﴿الله نور السماوات والأرض﴾، ثم من أجل إيضاح كيفية نور خاتم الأنبياء ﷺ ضرب مثال فيضه الخاص الذي يبدأ ذكره من قوله تعالى: ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾.... (أي قد ذكر الله تعالى أولاً أن الله تعالى هو نور السماوات والأرض ولا يخرج أي شيء من إحاطة هذا النور، فهو خالق كل شيء وقيومٌ على كل شيء، ثم أشار إلى نوره الخاص وضرب له مثالا، وذكر أن ذلك النور الخاص تجلّى في أروع شكل في شخص سيدنا محمد ﷺ).. ومعناه أن مثل هذا النور (في الإنسان الكامل الذي هو النبي ﷺ) كمثل كُوّةٍ في جدار يوضع فيها المصباح. ويقول حضرته إن الكُوّة المذكورة في المثال هي صدرُ النبي ﷺ الواسعُ، وهذه الكُوّة فيها مصباح.. أي وحي الله تعالى.

ثم قال الله تعالى: ﴿المصباح في زجاجة﴾، ذلك أن المصباح إذا وُضع في زجاجة أصبح محفوظاً من عبث العواصف. فالشعلة إذا ما أضيئت في زجاجة صارت محفوظةً من الرياح وأثرِ الجو الخارجي، وازدادت إضاءةً أيضاً، كما هو معروف عند عامة الناس في الدول الفقيرة من العالم الثالث حيث يستخدمون مصابيح تقليدية تعمل بالكاز. لو وُضعت تلك الشعلة في الهواء الطلق لانطفأت، إلا أنّها عندما توضع في الزجاجة المركبة في المصابيح التقليدية أصبحت محفوظة بحيث يمشي بها الناس في العواصف في مناطق لا تتوفر فيها المصابيح اليدوية الحديثة. كذلك عندما يُركَّب عاكسُ الضوء في المصابيح الحديثة التي تعمل بالبطاريات فإنه يزيد ضوءها انتشاراً.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "إن ذلك المصباح موجود في زجاجة صافية جدا.. أي في قلب طاهر مقدس وهو قلب النبي صلى الله عليه وسلم الذي يشابه بسبب فطرته النقية المرآة الصافية والشفافة المنزهة من كل نوع من العكارة والمظهرة من جميع أنواع الكدورة، والذي يخلو كليةً من علقٍ ما سوى الله تعالى".

أي أن قلبه صلى الله عليه وسلم نزيه وطاهر من كل الشوائب، وعامر بحب الله تعالى بحيث لا يتراءى فيه شيء سواه. وهذا القلب كان جديرا بأن ينزل عليه وحي الله عز وجل. فلما نزل وحي الله تعالى على هذا القلب الطاهر والصافي فقد أضاء نوره العالم وكأنه كوكبٌ دريٌّ. فقد شاهد هذا النورَ من أراد الله هدايتهم.

ثم ذكر الله مثالا آخر وهو أن هذا المصباح يوقد من شجرة مباركة زيتونة.

يقول المسيح الموعود عليه السلام في تفسيره:

"المراد من شجرة مباركة زيتونة هو الذات المحمدية المباركة التي هي جامعة لأنواع البركات لكونها تتسم بالشمولية والكمال. (أي أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم جامع لبركات متنوعة وذلك لكونه جامعا لجميع أنواع الكمال) ففيضه لا يختص بجهة أو مكان أو زمان، بل هو عام ومستمر على سبيل الدوام دون أن ينقطع مطلقا."

أي لا يتوجه فيضه إلى جهة معينة دون أخرى، ولا يتحدد في مكان معين ولا ينحصر على زمان معين، بل سيظل جارياً مستمراً لجميع الجهات ولجميع الأماكن ولجميع الأزمان. فثمة ضرورة للسلوك في سبيل تساعد على الانتفاع من هذا الفيض المستمر على الدوام، وذلك السبيل يتمثل في الشريعة والتعاليم التي أتى بها صلى الله عليه وسلم.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"أما قوله تعالى إن مصباح الوحي ذلك يوقد من زيت شجرة مباركة، فالزيت هنا إشارة إلى العقل المحمدي اللطيف النير مع جميع أخلاقه الفاضلة الفطرية التي تستقي من النبع الصافي لذلك العقل الكامل."

أي أن هذا الزيت يشير إلى عظمة العقل المحمدي الذي يفيض نوراً وإلى الأخلاق الفاضلة كلها المودعة فطرةً محمد صلى الله عليه وسلم والموضوعة في قلبه وذهنه أيضاً، لذلك كانت كفاءاته الذهنية وأخلاقه الفاضلة جديرة بأن تحل محلّ زيتٍ يُستخدم لإضاءة هذا المصباح.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام عن قوله تعالى ﴿ لا شرقية ولا غربية ﴾: إن هذا يعني أنه لا إفراط ولا تفريط في الفطرة المحمدية الطاهرة، بل هي على درجة عالية من التوسط والاعتدال، وخلق في أحسن تقويم."

كانت فطرته صلى الله عليه وسلم نقية طاهرة وصالحة ومعتدلة من أول يوم، حيث يذكر لنا تاريخ حياته أنه كان ملتزماً بالعدل والإنصاف قبل تلقيه الوحي الإلهي أيضاً، ويحكم بين الناس بالعدل إذ كان الكافرون يأتونه ليفصل في قضاياهم. كان بطبعه ميالاً إلى الحق، لذلك فإن الوحي النازل عليه كان متطابقاً مع طبعه النقي الذي فطر عليه، أو بعبارة أخرى لقد خلقه الله تعالى بطبعٍ حالٍ من الإفراط والتفريط ليكون ظلاً حقيقياً لذلك الوحي الإلهي الذي سينزل عليه والذي سيكمل الدين من جميع النواحي.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"حيث إن موسى عليه السلام كان يتسم بجلال وحده، فنزلت شريعة التوراة الجلالية التي تتوافق مع فطرته عليه السلام. أما المسيح عليه السلام فكان يتحلى بالحلم والرفق لذلك احتوى تعليم الإنجيل على الحلم والرفق. غير أن طبع النبي صلى الله عليه وسلم كان معتدلاً فلم يكن يجنّد الحلم في كل مكان ولا يميل إلى الغضب في كل مكان، بل كان طبعه يراعي المحلّ والمناسبة بحكمة عظيمة. (أي أنه صلى الله عليه وسلم كان يفصل ويقرر بما يلائم المحلّ والظروف والمناسبة، فكان يتعامل بشدة حينما يقتضيه الأمر، ويتعامل برفق حينما يقتضيه الأمر) وبناء على ذلك احتوى القرآن الكريم على التعاليم المتوازنة والمعتدلة، (أي فقد جاء القرآن الكريم بتعليم متصف بمزايا محددة) بحيث إنه جامع لتعليم الشدة والرحمة والهيبة والشفقة والرفق والزجر. (أي أن تعليم القرآن يتضمن الشدة والرحمة، وورد فيه الإنذار حينما اقتضى الأمر، كما أنه يحتوي على تعليم الشفقة والرفق أو الزجر حينما اقتضى الأمر) وليبان هذه المعاني قال الله تعالى إن مصباح الوحي الفرقاني قد أوقد من شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية."

أي أن ذات النبي صلى الله عليه وسلم قد أضيئت بالوحي الإلهي الفرقاني المتوافق مع فطرته التي هي معتدلة، فليست هي شرقية ولا غربية. وهذا هو المقام الحمدي الذي يقول عنه المسيح الموعود عليه السلام:

"لقد قال الله تعالى مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾.. أي أنك يا أيها النبي مفضول على خلق عظيم. وهذا يعني أنك متمم لمكارم الأخلاق ومكمل لها بحيث لا يمكن أن تُتصور زيادة عليها." أي أن الإنسان الكامل صلى الله عليه وسلم

يتحلى بجميع مكارم الأخلاق التي قد تخطر على فكر البشر ولا يُتصوّر أفضل وأعلى منها.

"لأن لفظ "عظيم" يطلق في لغة العرب على صفة شيءٍ حائزٍ على الكمال النوعي."

أي أن الله تعالى قد استخدم لفظ "عظيم" بخصوص النبي ﷺ لبيان أنه تعالى قد حقق في ذاته ﷺ كمال جميع القوى والكفاءات التي يتحلى بها الناس. ثم يقول حضرته: "إن الزيت المذكور في الآية نقيٌّ ولطيفٌ بحيث يكاد يُضيء ولو لم تمسسه نار. يعني أن عقل هذا النبي الكريم وجميع أخلاقه الفاضلة تقع على التوازن التام واللطافة الكاملة والنورانية التامة بحيث تكاد تضيء تلقائياً حتى قبل نزول الوحي عليه." أي أن أخلاقه الفاضلة كانت سامية حتى قبل نزول الوحي الإلهي لدرجة كان الناس يستنبرون بها.

"﴿نور على نور﴾ أي أن نوراً نزل على نور. يعني أن الذات المباركة لسيدنا خاتم الأنبياء ﷺ كانت جامعة لأنواع من الأنوار، فنزل عليها نور سماوي آخر بشكل الوحي الإلهي، فصار خاتم الأنبياء ﷺ مجمع الأنوار. ولقد أشار الله تعالى في ذلك إلى أن فلسفة نزول النور تتلخص في أن النور إنما ينزل على النور ولا ينزل على الظلمة، ذلك لأن التوافق شرط للاستفاضة ولا توافق بين الظلمة والنور، بينما للنور مناسبة مع النور، ولا يخلو عمل الحكيم المطلق ﷻ من مراعاة المناسبة. أي أن الله الذي لا يخلو أي فعل له من الحكمة، "وقانونه هذا نفسه ساري المفعول فيما يتعلق بإفاضة نوره، أي أن الذي يكون لديه شيء من النور مسبقاً يُعطى مزيداً من النور (بمعنى أن الذين

يملكون فطرة سليمة يرشدهم الله تعالى إلى الصواب) ومن لا يملك شيئاً من النور لا يُعطاه. فمن كان بعينه نور انتفع من ضوء الشمس (بمعنى أنه لا يمكن أن يرى الشمس إلا من كان له عينيان مبصرتان) أما الذي ليس في عينيه نور فلا ينتفع من ضوء الشمس أيضاً. ومن أُعطيَ من نور الفطرة قليلاً فلا يُعطى من هذا النور أيضاً إلا قليلاً، ومن أُعطيَ من نور الفطرة قدرًا أكبر يوهب من هذا النور أيضاً قدرًا أكبر.

لقد أودع الله تعالى فطرة الناس نوراً بحسب قدراتهم ومؤهلاتهم الشخصية، لذا فمن كانت له فطرة سليمة أكثر من عمل الحسنات، ومن كان ناقصاً من هذه الناحية كانت حسناته أقل نسبياً. وهكذا فكل واحد يقتبس من هذا النور بحسب قدراته وكفاءته.

إذن، فإن النور الكامل للنبي ﷺ كان مظهراً كاملاً لنور الله تعالى، وهذا هو النور الذي سوف ينفع الناس إلى يوم القيامة. علماً أن المحب الصادق للنبي ﷺ (أي المسيح الموعود عليه السلام) هو أكثر الناس اقتباساً من هذا النور في هذا العصر، لكي ينشر في العالم كله هذا النور وذلك الوحي المحمدي الأخير الذي كان لا بد أن ينتشر نوره في جميع أنحاء المعمورة، ولكي يستمر (المسيح الموعود عليه السلام) في وضع هذا المصباح في أعلى الأماكن وأرفعها، لكي تستفيد الدنيا كلها من هذا النور. ولقد لُقّبَ المسيح الموعود عليه السلام بخاتم الخلفاء بسبب استمراره ومثابرتة في إنجاز هذه المهمة، ذلك أن الأولياء أو المحددين الذين جاؤوا قبله كلّفوا بنشر التعليم الذي جاء به النبي ﷺ في أناس معيّنين ومناطق محدودة فقط، أما الآن فإن مهمة وضع هذا المصباح في أماكن عالية

وإيصال ضوئه إلى كافة أنحاء العالم ستم بواسطة المسيح الحمدي ﷺ وحده. والتدبر يكشف أن هذه المهمة تُنجز اليوم بالفعل على أيدي أتباع المسيح الموعود ﷺ وحدهم، حيث يبذلون قصارى جهدهم لنشر تعليم الإسلام الحقيقي في ضوء أسوة النبي ﷺ الحسنة، باذلين ما في وسعهم ليبينوا للناس في العالم كله تعاليم النبي ﷺ وأسوته ﷺ الحسنة وأخلاقه الفاضلة من على المنارات العالية. وبعد خاتم الخلفاء (أي المسيح الموعود ﷺ) سوف تقوم الخلافة - بتأييد الله ونصرته - بأداء الواجبات الموكولة إليها من قبل الله لوضع هذا المصباح في مشكاة ومنارات عليا.

ثم يقول الله تعالى في الآية التالية: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (النور: ٣٧).. أي أن هذا النور موجود في بيوت المؤمنين الذين يعملون بأحكام الله تعالى في حياتهم اليومية ويعبدونه ﷻ، ويعملون الصالحات دوماً، متأسين بأسوة الرسول ﷺ.

فقال الله تعالى عن مثل هذه البيوت إنها سوف تُرْفَع، مبيناً علامة البيوت الصالحة للرفع أنه يُذْكَر فيها الله كثيراً، ويُسَبَّح فيها الله ﷻ صباح مساء، أي تقام فيها الصلوات بالتزام. فالشرط الأول لاقتباس الإنسان من هذا النور ولكونه من أنصار الدين هو أن يذكر الله تعالى كثيراً ويهتم بعبادته ولا سيما صلاة الفجر والعشاء، إذ جاء التأكيد عليهما بوجه خاص.

فإذا كنتم تريدون أن تنالوا نصيباً من هذا النور وتُعَدُّوا ممن ينتفعون منه فلا بد أن تتذكروا دائماً قول النبي ﷺ: "قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ" (النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء). والصلوة هي التي سوف تُساعد كل

شخص على الفوز بقرب الله تعالى حسب قدراته. يعتاد الناس الجمع بين صلاتي الظهر والعصر بسبب أعمالهم، ولكن هذا لا يجوز إلا في حالة الاضطرار، فلا تتخذوه عادة. فقد ورد في الحديث عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ تُدْسِمُ هَذِهِ الصَّلَاةَ؟ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُهُ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَرْتَفِعَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ. (مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه)

فهؤلاء الصحابة الذين انتفعوا من هذا النور مباشرة كانوا يسعون لأن يجعلوا كل عمل لهم وسيلة لرفع درجاتهم، وقد بلغوا أعلى المراتب فعلاً حتى وصفهم الله قائلاً: "رضي الله عنهم"، فصاروا أسوة لمن بعدهم.

هذا هو واجب خدام المسيح الحمدي اليوم. فعليهم أن يسعوا كل السعي ويبدلوا كل ما في وسعهم لرفع مستوى أعمالهم، حيث يقول المسيح الموعود عليه السلام إنه لن ينتفع من النور إلا من كان عنده شيء منه مسبقاً. والاقْتِباس من هذا النور مشروط بالأعمال الصالحة والسعي الدؤوب لانتهاز كل فرصة تُقَرَّبُ الإنسان إلى الله تعالى.

ثم يوضح الله تعالى الأمر أكثر فيبين كيف يتم ذكر الله صباحاً ومساءً مما يرفع تلك البيوت، فقال: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور:

ولم يبلغ الصحابة رضي الله عنهم هذه المستويات السامية إلا بالاقتراب من ذلك النور. فرغم أدائهم لكافة مسؤولياتهم المنزلية والاجتماعية والتجارية وغيرها لم يُلهم شيء عن أداء حقوق الله، بل وصلوا إلى أعلى المستويات في عباداتهم. كانوا يؤدون صلواتهم في مواقيتها وجماعةً. وكما بينت آنفاً في ضوء الحديث الشريف أنهم كانوا يصلون أربع ركعات قبل صلاة الظهر بالتزام ابتغاء مرضاة الله تعالى ورفع نفوسهم. كما ورد في الآية المذكورة أعلاه أنهم كانوا يسُدُّون حاجات الدين وحقوق العباد أيضاً بأداء الزكاة. لقد ضربوا هذه الأمثلة الرائعة التي هي أسوة لنا حتى اليوم لانتمائهم إلى ذلك النور المتجسد صلى الله عليه وسلم. ونحن اليوم بحاجة إلى تقديم هذه النماذج المثالية كما فعل الأولون. حيث إن هناك اهتماماً أكبر بالتجارة والبيع في هذا العصر فيجب أن ننتبه إلى العبادات بوجه خاص.

ما هو الفرق بين التجارة والبيع؟ فقد ألقى سيدنا المصلح الموعود صلى الله عليه وسلم (الخليفة الثاني) ضوءاً على هذا الموضوع، فقال إن التجارة عبارة عن الأخذ والعطاء والبيع والشراء، أما البيع فلا يتضمن معنى الشراء.

والحق أن هذه الخدمات كلها تدرج اليوم تحت مسمى البيع، وهي كثيرة في هذه البلاد، وتحول دون أداء الصلوات بحيث ينسى الناس مسؤوليتهم الأساسية هذه سعياً منهم لإنجاز أعمالهم في الوقت المحدد.

ولكن الله تعالى يعلن أن المؤمنين الحقيقيين يخافون الآخرة رغم مشاغلهم الدنيوية، فلا تُلهيهم تجارتهم وغيرها من الأعمال عن عبادة الله وأداء حقوق عبادته، بل إن مشهد المثلث أمام الله تعالى للسؤال والحساب يظل ماثلاً أمام

أعينهم دوماً، فيسعون جاهدين لأداء عباداتهم المكتوبة متنبهين إليها على خير ما يرام، كما يؤدون النوافل أيضاً.

ثم يقول الله تعالى في الآية التالية: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور: ٣٩). فالنور الذي خلقه الله تعالى في شخص الرسول ﷺ، والمنهج الكامل الذي أنزله عليه، كانا سبباً لرفع بيوت المؤمنين. وعملية رفع البيوت هذه ستظل سارية طالما يعمل المؤمنون بهذه التعاليم. وهذا ما وعد به الله تعالى في الآية المذكورة وفي آيات أخرى. فيقول الله ﷻ إنكم لو روَّجتم هذه الأعمال الصالحة في بيوتكم ورسَّختموها في قلوبكم لجُزيتم عليها أحسن جزاء. والمعروف أن الله تعالى لا يجزي أصحاب الأعمال الصالحة بقدر أعمالهم، بل يقول ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾.. أي لو حاولتم أن تقفروا قفزة واحدة إلى الأعلى لرفعكم الله تعالى بفضله قفزات كثيرة. ثم إن الله تعالى مالكٌ، فيجزي عباده بغير حساب، فيزدادون درجاتٍ على الدوام.

ندعو الله تعالى أن يوفقنا لأن ننشر في بيوتنا هذا النور الذي حصلنا عليه بواسطة النبي ﷺ ولننتفع منه على أحسن وجه، فينزل علينا أفضاله ورحمته المتزايدة على الدوام، ويوفقنا للقيام بالأعمال الصالحة دائماً، آمين.

